

وجيز «ملخص» تحديث الخطاب الدينى

تمهيد: تفرض إشكاليات متعددة ومتنوعة ، وتحديات داخلية وخارجية ، محلية وعالمية تجديد الخطاب الدينى ويعنى بها (الأدوات) ، خاصة أن التوغل السلفى بنزعتة الجمودية وحضوره الشعبى الجماهيرى ، واختراقاته لمؤسسات دينية ذات علاقة ، تستوجب تفعيل رؤى إصلاحية تتصل بالحرية والوعى الذاتى ومكانة العقل وحوار حضارات والتوافق بين النص الشرعى والعقل.

• إن تخلف الفكر الدينى فى العالم الإسلامى حقيقة وتكمن مضاره وتداعياته على نشوء العنف الفكرى والمسلح لدى جماعات وفرق وتيارات وفصائل ، وعجز واضح لمؤسسات ذات علاقة بالخطاب الدينى .

• إن تحديث وإصلاح الخطاب الدينى فريضة شرعية فى المقام الأول أصلها قول الرسول سيدنا محمد - ﷺ - : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين»^(١).

• إن جهوداً إصلاحية لدى أئمة علم تراثيين مثل الإمام السيوطى فى مصنفه الماتع «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة» ، والمراغى الجرجاوى فى كتابه «بغية المقتدين ومنحة المجددين على تحفة

(١) سنن البيهقى ١٠ / ٢٠٩ .

المهتدين»، الإمام الغزالي في مصنفه النفيس «إحياء علوم الدين».

وفى العصر الحديث كوكبة من الإصلاحيين أشهرهم: جمال الدين الأفغانى، محمد عبده، حسن العطار، رفاعة الطهطاوى، محمد مصطفى المراغى، محمود شلتوت، محمد إقبال، مالك بنى بنى.

ومن المراجع ذات العلاقة: «المجددون فى الإسلام» للشيخ أمين الخولى «زعماء الإصلاح فى العصر الحديث» للأستاذ د. أحمد أمين، «المجددون فى الإسلام» للشيخ عبد المتعال الصعيدى، «تجديد الخطاب الدينى» د. محمود حمدى زقزوق، «تجديد الخطاب الدينى» د. أحمد عرفات القاضى، «خطاب إسلامى معاصر» د. أحمد محمود كريمه.

إذا علم هذا :

فإن تجديد وتحديث «الخطاب الدينى» يركز على الأدوات الفاعلة والمؤثرة وهى :

- ١ - العملية التعليمية الدينية.
- ٢ - العملية الدعوية.
- ٣ - الإعلام الدينى.

أولاً: العملية التعليمية الدينية

المؤسسات التعليمية الرسمية الحكومية: تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

أ - مراحل ما قبل الجامعة: الابتدائية، الإعدادية (المتوسطة).
الثانوية.

ب - المرحلة الجامعية والدراسات العليا: يمكن القول إن الازدواجية بين مقررات علوم أصول الدين والشرعية الإسلامية واللغة العربية

وآدابها من جهة، وبين مقررات العلوم الثقافية المدنية من جهة أخرى أفرزت خريجين معظمهم متدنى المستوى خاصة أن المناهج الثقافية هي ذاتها مناهج وزارة التعليم بالحشو والتكرار ولا تمس من جهة ساعاتها التدريسية، أما العلوم الشرعية فتعريضها عوامل الدمج والاختصار والحسم والخضم من الساعات التدريسية بالإضافة إلى تقليص سنوات تدريسية كانت فيما مضى فى المعاهد الدينية (الإعدادية أربع سنوات، والمعاهد الثانوية مثلها).

بالإضافة إلى أن واضعى المناهج فى مراحل ما قبل الجامعة:

- شيوخ بدرجة مستشارين فى الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية.
- عدم مشاركة من خبراء تربويين.

والمناهج التراثية تدور حول مساجلات بين مدارس علمية مندثرة مثل (أشاعرة، ماتريدية، معتزلة، بصريون، كوفيون....).

وتقرر بالغث والسمين، ومنها ما لا يناسب الواقع المعاصر مثل:

الرق، الجزية، الغنائم.

المراحل الجامعية التخصصية: يعهد إلى الأقسام الأكاديمية وضع مقررات تكون مجرد عناوين دون رؤى تربوية، ودون ورش عمل وتأتى موافقات روتينية من أقسام أعلى (الكلية، الجامعة) لا توجد إدارة لتخطيط وتوصيف المقررات الدراسية.

وهى كسابقتها مقررات تراثية لا صلة لها بفقه الواقع ولا فقه الأولويات، مجادلات عقيمة بين مدارس تراثية لا وجود لها، مع شيوع مذهب علمية تعنى بالانتصار لأدبياتها على حساب الآخر!

العلمون: مجرد موظفين مهنيين لا يستشعرون أداء «رسالة» فالأداء باهت ، وإفرازات المؤسسات التعليمية ذات العلاقة أتت بغير أكفاء غالباً فاقدى الشعور مما أوجد فراغاً روحياً هائلاً لدى دارسين تسلل إليه مدعى التدين المتطفلين على العلم الشرعى (منظري ورموز الإخوان والسلفية والشيعية) ليملاؤوا فراغاً هائلاً ومن ثم التجنيد فى فصائلهم والتبديد للنزr اليسير لما حصلوه ، وتتم عمليات (الإحلال) للعلوم الأصيلة ، لأفكار هذه الجماعات ، وهذا يفسر تزايد الاختراق الإخوانى السلفى الشيعى لأوساط الدارسين فى مؤسسات تعليمية دينية تخصصية.

نظم الامتحانات: عبارة عن استظهار (الحفظ) لمسائل المقررات وغالباً لا تفهم ولا تهضم ، مجرد (الصم) وتكون عرضة للنسيان السريع بعد أيام الامتحانات ، وللأسف لم يدرس واضعو الامتحانات بمعاهد وكليات دينية النظم الحديثة المعاصرة للامتحانات !

ويأتى نظام الفصل الدراسى الواحد (التيرم) ليضرب العملية التعليمية الدينية فى مقتل لتقلص ساعات تدريسية فى الواقع العملى .

عوامل أخرى: التوسع فى معاهد وكليات فى أقاليم دون دراسات جادة للحاجة والإفادة عادت سلباً على العملية التعليمية لقلّة أعضاء هيئة تدريس تخصصيين واللجوء إلى (انتدابات) لغير مؤهلين ، وترقيات لغير أكفاء لسد فراغ ، مما يعود سلباً على الأداء والجودة.

مقترحات للعملية التعليمية الدينية

أولاً: التحرر من ازدواجية التعليم بالتركيز على المقررات للعلوم الإسلامية ، مع عمل مقررات لأساسيات علوم ثقافية تتلاءم مع التعليم الدينى .

فريضة الاستعانة بخبراء (التربية) مع واضعى المقررات التدريسية الأكاديميين.

- عمل ورش عمل جادة بين تربويين وأكاديميين لعمل توصيفات تعليمية جامعة بين أصالة التراث دون انكفاء مع عمل (مختارات تراثية) لما يتصل بفقّه الواقع والمصالح، ومعاصرة دون ذوبان ودون تنكر للتراث.

- إلغاء نظام الفصل الدراسي (التيرم) من الدراسات بمراحلها وإذا كان ولا بد يخصص (التيرم) للمقررات الثقافية.

- تأهيل معلمين بمختلف أوضاعهم الوظيفية من جهة الكفاءة والمقدرة وليس مجرد الحصول على مؤهل أو درجة علمية، والجدية فى أداء (رسالة) كقربات دينية كما كان فى صدر الإسلام لمأفراغ روحى لدى دارسين ومعظمهم من الناشئة لتفعيل (تدابير وقائية) ضد دعاوى وأدبيات الجنوح للتشدد والمغالاة فيما يفرّخ العنفين الفكرى والمسلح!!

- عمل استبيان دورى لكافة المعلمين لجميع المراحل التعليمية دورياً لتقييم المقررات وطرح رؤى للحذف أو الإضافة.

- الإطلاع على توصيفات علمية بمؤسسات مناظرة بدول أخرى.

- إنشاء إدارة تخصصية بالمقررات بجامعة الأزهر للتحليل والمتابعة والتقييم تضم خبراء من كبار مستشارين بالإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، فى العلوم الشرعية، وخبراء من كلية التربية، وشخصيات أكاديمية فى العلوم الإسلامية.

- عمل مقرر (الثقافة الإسلامية) مقرر إلزامى لأقسام العلمى بالمعاهد الأزهرية، والكليات العملية بجامعة الأزهر (إن رؤى الإبقاء عليها وإن كان إلغاؤها أولى).

ثانياً: تطوير نظم الامتحانات:

لابد من الاستعانة بخبير للقياس والتقويم لبيان:

- ١ - أغراض الاختبارات التحصيلية.
 - ٢ - تصنيف الأهداف التعليمية فى المجال المعرفى.
 - ٣ - نوعيات الأسئلة وتقنيات كتابتها.
 - ٤ - انتقاء نوعية السؤال وأنماط المفردات المناسبة.
 - ٥ - الأسئلة الموضوعية، نمط الصواب والخطأ، نمط المزاوجة، نمط الاختيار من متعدد تدريبات على الصياغة الجيدة، نوعيات أسئلة الاختيار من متعدد، مفردات الإجابة القصيرة، مفردات التكملة.
 - ٦ - التمرين التفسيرى.
 - ٧ - الأسئلة المقالية.
 - ٨ - الاختبار الموضوعى.
- [يمكننى عمل بحث مستقل لآلية وضع أسئلة اختبارات].
- مع بحث دليل تقنيات كتابة الأسئلة د. فوزى إلياس، ط ١٩٩١م.
- ثالثاً: عمل دراسة (أخلاقيات مهنة التعليم) فى المراحل التأهيلية للمعلمين فى الدراسات التعليمية والتخصصية الأكاديمية والتربوية تتناول محاور أساسية أهمها :
- العمل المهنى وأخلاقيات المهنة.
 - الاتجاهات والقيم فى إطار أخلاقيات مهنة التعليم.
 - شخصية المعلم فى إطار أخلاقيات مهنة التعليم.

- العلاقات الإنسانية فى إطار أخلاقيات مهنة التعليم.
 - التوافق المهنى فى إطار أخلاقيات مهنة التعليم.
 - التقويم والرقابة وأثرهما فى أخلاقيات مهنة التعليم.
- الدراسة تهدف إلى مساعدة المعلم (من الابتدائى إلى أستاذ الجامعة) على الوعى بالمهام، والمسؤوليات التعليمية، والتربوية وأثرها، والحض على تكوين شخصية تعليمية ذات كفاءة، بالإضافة للمساعدة على الممارسة العملية للمبادئ والأسس الأخلاقية لمهنة التعليم^(١).

ثانيا: الأعمال التربوية

الدعوة إلى صحيح الدين فى الأساس علم له قواعده ومناهجه يحكمه نصوص شرعية، وقواعد علمية، مستقاة من فهم صحيح، مع عرض سليم لتحقيق المقاصد.

وتبدو الحاجة ماسة للعناية بأمور مهمة منها :

- أ - تاريخ الدعوة: علم يستوعب مراحل الدعوة وجهود الدعاة من المصطفين الأخيار من حيث الركائز والأصول، والأصول العامة، والأساليب والأهداف.
- ب - مناهج الدعوة: علم يضع اللوائح، ويضبط الخطط بالشروط ذات العلاقة.
- ج - فقه الدعوة: من جهة الإلمام بالنظم ذات العلاقة أهمها:

- الدعوة	- الداعية	- المدعو
----------	-----------	----------

(١) أخلاقيات مهنة التعليم د. توفيق مرعى، د. أحمد بلقيس ط ١٩٩٥م.

وفى كل تفصيلات لا يتسع المقام لذكرها.

بالاستقراء فى الواقع العملى فإن وسائل الدعوة (المسجدية، الإعلامية) تتوزع بين:

- مؤسسة حكومية رسمية (الأوقاف - إدارة الوعظ بالأزهر)
 - مؤسسات أهلية خاصة (جمعيات ثقافية).
 - تيارات مذهبية:
 - الثقافة الأزهرية التقليدية.
 - الاتجاه السلفى (الدعوية).
 - الاتجاه الصوفى.
 - التبليغ والدعوة (أخلاط مما ذكر).
 - الإخوان (اتجاهات حركية وسياسية).
 - السلفية الحركية السياسية (مثل الإخوان فى الإطار العام).
- بالتالى لا وجود لخطاب دينى متفق عليه (لكل جهة) (كل حزب بما لديهم فرحون).

الخطاب الدينى معبر عن قناعات الواعظ والخطيب والداعية بمعتقداته الدينية والفكرية، وتكمن الخطورة فى التأثير والتأثير، وتعارض الطرح والتناقض فى العرض مما يعود سلباً على المصادقية.

المؤسسات الرسمية تمارس المهام الدعوية ثقافة شعبية خاضعة لضغوط وتوجهات، مع تولى غير متخصصين بالأعمال الدعوية ممن هبطوا بغتة بفعل سياسة التربيطات والمرضاة لوزراء الأوقاف فهم أخلاط من تخصصات قانونية، ولغة عربية، وتيارات فلسفية، وكوادر جمعيات

ثقافية (راجع وزراء الأوقاف بمصر فى الحقبة الأخيرة من عصر الرئيس المتنحى محمد حسنى مبارك حتى الآن عام ٢٠١٥م).

وإدارات الأوقاف تمارس مهامًا إدارية روتينية تستهلك الجهد والوقت، مع إملاءات أمنية معظمها للاستهلاك المحلى !.

الدورات التأهيلية: شكلية عقيمة عديمة الجدوى فيدرس بها بعض مسائل من العلوم الإسلامية التى درسها أئمة المساجد والوعاظ فى مراحل جامعية !، ولا يوجد أى تأهيل لفقهاء الدعوة، مع وجود عنصر المجاملة فى اختيار محاضرين ! !.

والحضور والمشاركة تحصيل حاصل.

مراكز الثقافة بالأوقاف: المدة الزمنية والمقررات ومستوى المحاضرين غالبًا غير كاف لإعطاء الجرعات المأمولة والمطلوبة والمناهج متغيرة، مع ملاحظة أن الدارسين أخلاط من سلفية وإخوان وجماعة دعوة وتبليغ يحملون بفكر جماعاتهم وانتماءاتهم، والغرض الرئيسى الحصول على (صك) رسمى، لاعتلاء منابر يدعون لما يحملون من فكر.

معاهد إعداد الدعاة: قنابل موقوتة تتبناها مؤسسات أهلية معظمها ينقلب على الثقافة الأزهرية، مع عمل غطاء خادع (تدريس بعض مقررات أزهرية غير ذات تأثير أو جدوى، والاستعانة ببعض أزهريين يحملون نفس الانتماءات الفكرية غالبًا، للتمرير والتبرير أمام وزارة الأوقاف وجهات رقابية).

تواضع مستوى الأئمة، والتراجع الفكرى الأصيل، والانشغال بمغانم المناصب بما تحمله من صراعات وما لا يحسن ذكره.

توزع وزير الأوقاف بين مهام تتعدى الاختصاصات من جهة :
مهامه السياسية أمام الدولة .

— إشرافه على الهيئة المالية (العينية والنقدية لأموال الأوقاف)

— رئاسته — غالبًا — للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

— حضور مؤتمرات وسفريات وأنشطة إعلامية .

— تبعية البعض لتوجهات شخصيات قيادية بمشيخة الأزهر مما

يعود سلبًا على التفرد المطلوب لتحسين الدعوة .

خطب الجمع والمناسبات رتيبة تقليدية ، والدروس المسجدية من

الأئمة لا وجود لها عدا المساجد الكبرى بعواصم المحافظات .

لجوء أئمة ووعاظ لأعمال إضافية لتحسين الدخول المالية لضغوط

وأعباء الحياة على حساب المهام الأصلية (الدعوة) .

فقدان الشعور بالمسئولية ، والركون إلى أن الإمامة والخطابة (مهمة)

فى الواقع ، وليست (رسالة) كما قال الله - عجل - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) ، ﴿قُلْ

هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢) ، ﴿كُنْتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣) .

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت .

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٣) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

مضار ما ذكر :

- اهتزاز العمل الدعوى وتراجعها.
- إيجاد فراغ وجداني هائل.
- تغول تيارات السلفية وجماعات ما يسمى (الإسلام السياسى)
- تفشى الأمراض الخلقية.
- تزايد الإلحاد خاصة بين الشباب.

معالجات ومداوات للأعمال الدعوية

- أولاً: فصل وزارة الأوقاف (مهام دعوية وشئون إسلامية) عن (هيئة الأوقاف) وجعل الأخيرة هيئة مستقلة تماماً تابعة لرئاسة مجلس الوزراء يرأسها خبير مالى يعاونه فقيه شرعى له تخصص بفقهاء الأوقاف.
- ثانياً: حسن انتقاء وزير الأوقاف، يفضل أن يكون من العاملين بالدعوة الإسلامية وممن لهم تخصص أكاديمى فى كلية وأقسام الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر وعدم مشورة مشيخة الأزهر فى الاختيار.
- ثالثاً: إنشاء مجلس أعلى للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف يضم:
- أساتذة تخصص علم الدعوة الإسلامية.
 - خبراء فى الدعوة مشهود لهم بالكفاءة.
 - رموز من تيارات تمارس الدعوة مثلاً:
 - وعظ الأزهر.
 - الإمامة والخطابة بالأوقاف.
 - ممثلون معتدلون من تيارات:

السلفية : الجمعية الشرعية، أنصار السنة : الصوفية.
وذلك للاتفاق على إطار عام ملزم للأداء الدعوى في المساجد والدروس
المسجدية من جهة اختيار :

- الموضوعات ذات صلة بفقہ الواقع.
- البعد عن الخلافات المذهبية والعصبية الطائفية
- شروط الداعية غير المعين رسمياً.
- الالتزام بعقد سنة تدريسية كاملة بجامعة الأزهر بمعهد على مستقل
(معهد الإمامة والوعظ) يختص بتدريس مقررات :
 - فقه وعلم الدعوة.
 - الخطابة بين النظرية والتطبيق.
 - تجويد القرآن الكريم.
- أصول العلوم الإسلامية (العقيدة، تيارات فكرية معاصرة، أصول
الفقه، قواعد الفقه، آيات وأحاديث الأحكام، التاريخ الإسلامي،
قواعد اللغة العربية).
- مبادئ لغات حية (الإنجليزية - الفرنسية - الألمانية - الروسية)
للتوسع للراغبين في الابتعاث الخارجى.
- قيادة جهاز الحاسوب (الكمبيوتر).
- عمل كادر مالى وظيفى ملائم للدعاة.
- إغلاق معاهد إعداد الدعاة لجمعيات ثقافية.
- حصر مراكز الثقافة الإسلامية فى دراسة حرة للعلوم الإسلامية دون
الحق فى وظيفة (خطيب).

- جعل من شروط الترقى لعلمين وأساتذة جامعة (نشاط دعوى معتمد) لتشجيع ذوى التخصص الشرعى للانخراط فى العمل الدعوى بمعاهد وكليات أزهرية وكليات مناظرة.
 - عمل مكنتبات ورقية وإلكترونية للإصدارات الدعوية.
 - التواصل المستمر مع كلية وأقسام الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر.
- مراجع ذات صلة :**

الدعوة ووسائلها أ.د / عبد الله حسن بركات، وإصدارات أخرى وأبحاث بكلية وأقسام الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: الاتصال الدينى (الإعلام)

يراد به وسائل الاتصالات المقروءة (صحف ومجلات ونشرات) ومسموعة (الإذاعة) ومرئية (التلفزيون) والإلكترونية (التواصل الاجتماعى، الشبكة العنكبوتية: النت، الفيس بوك). مما له علاقة بالموضوع (الرسالة الاتصالية) و (القائم بالاتصال): الرسالة الاتصالية: تعنى بالكلمات والجمال، وأشكالها، وأنواعها والألفاظ المستخدمة.

والمفاهيم والمعانى التى تعبر عنها ما ذكر.

القائم بالاتصال: مُعد أو صاحب أو ناقل الرسالة الاتصالية.

وببساطة: موجات الإذاعة، وقنوات التلفزيون.

موجات إذاعية تخصصية: إذاعة القرآن الكريم (نموذجاً) تسيطر عليها برامج حوارية وثرثرات واستقدام ضيوف دون المستوى، لذا يجب حصر هذه الإذاعة على القرآن الكريم وعلومه فقط.

إنشاء إذاعة تحمل (منبر الإسلام) تبث (الخطاب الإسلامى) من مختصين، مع ضرورة إشراف كلية الإعلام بجامعة الأزهر ويعهد لخبراء بها وضع الخطط بالتنسيق مع مجلس الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف، وإدارة الوعظ بالأزهر الشريف، لعمل خطط مواد إعلامية دورية.

قنوات دينية تخصصية: إبعاد قنوات ذات صبغة مذهبية أو طائفية دينية (سلفية، إخوان، صوفية، شيعة).

وإنشاء قناة - أو أكثر - بوزارة الأوقاف ومشيخة الأزهر، مع الاستعانة بما ذكر فى الموجة الإذاعية مع الاهتمام:

- المواد العلمية المقدمة.
- المكتبة الإسلامية.
- ركن الفتوى الشرعية.
- رحيق العلماء (وجيز أساسيات وخلاصة العلوم الإسلامية الرئيسة من كبار العلماء المشهود لهم بالتمكن العلمى) لإعادة صياغة الثقافة الإسلامية الصحيحة خاصة (المكونات الإيمانية، الشريعة العملية، مكارم الأخلاق) والعناية بقضايا فقهية معاصرة
- تقنين شبه جماعات المغالاة والتشدد من فقهاء الشريعة الإسلامية.
- التقليل من البرامج الحوارية والمجادلات.
- تولى خبراء (الإعلام) التخصصيين وضع الأطروحات والتصورات وفق معايير منهجية.
- عدم التركيز على شخصيات دائمة الظهور سدًا (للسوء الإعلامى).

– الاقتصار على قناة واحدة رسمية، ولا بأس بأخرى لغير الناطقين بالعربية.

مراجع ذات صلة:

مدخل إلى الإعلام الإسلامي د. سعيد اسماعيل، مقدمة في الاتصال الإعلامي د. محمد كمال القاضي.

